

الرعاة وبركات الميلاد

عناصر

مقدمة

من هم هؤلاء الرعاة

البركات التي نالها هؤلاء الرعاة

- 1 - السلام .
- 2 - الفرح .
- 3- الخلاص .
- 4- الصلاة .
- 5 - الكرامة .

لماذا اختار الله هؤلاء الرعاة

- 1 - الإيمان والبساطة .
- 2 - السهر والتعب .
- 3 - الجهاد والنشاط .

دروس مستفادة من قصة الرعاة

- 1 - السيد المسيح للجميع .
- 2 - الله له في كل عصر من يشهد له .
- 3 - الله يعمل من خلال الجميع .

مقدمة

لم أجد شئ أجمل ولا أروع من الهتاف الملائكي "المجد لله في
الأعلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة".

وهذه البشري أهنئكم جميعاً بعيد الميلاد المجيد ونسال الله أن
يكون عيد مملوء سلاماً وفرحاً ومحبة كاملة.

كما أهنئكم جميعاً ببدء عام جديد . جعله الله عاماً مباركاً
مقدساً . .

تحيون فيه حياة مقبولة من الله . كما أهنئكم بعيد ميلاد السيد
المسيح له المجد . وما يحمله ميلاده من إichاءات ومن معاني ودمروس
مروحية . .

ونرجو لبلادنا - مصر - في هذه المناسبة - كل خير . مصليين إلى الله
أن يحل مشاكلها الاقتصادية ويمنحها الرخاء . ويسبغ عليها من جوده
وكرمه سلاماً وطمأنينة .

وهذه المناسبة المباركة لنا بعض التأمّلات الروحية في بعض
شخصيات الميلاد .

سوف تتأمّل في قصة الرعاة الذين استحقوا أن ينالوا بركات الميلاد
لتعرف ما هي البركات التي يمكن أن نشاركهم فيها
، وكيف استحقوا هذه البركات .

لقد أصبح الرعاة، وقد «أشرق عليهم مجد الربّ»، أوّل من
استودعهم الله بشري الخلاص، وأوّل المشاهدين المتأمّلين لسرّ
الكلمة، وأوّل المبشّرين «بالفرح العظيم»، وأوّل المسبّحين لله .

، وأخيراً سوف تتكلم باختصار عن بعض الدروس المستفادة من قصة الرعاة .

من هم هؤلاء الرعاة

من الشخصيات الجميلة التي تستحق أن تتأمل في حياتهم (الرعاة) ،
طبعاً نحن جميعاً نعرف قصتهم ، ونعرف إنهم كانوا أناس بسطاء ،
ولكن القليل منا يعرف حياتهم ونادراً ما تتأمل في فضائلهم ،
وفي حياتهم ، من المؤكد إننا جميعاً نحفظ قصتهم وكل واحد
بمجرد ما يسمع الترنيمة التي سمعوها من الملائكة يفرح بها ويرنمها .

ولكن يعلمنا الآباء والتقليد أن هؤلاء الرعاة لم يكونوا رعاة عاديين ،
يعملون في التجارة أو مرعي الأغنام ، بل كانوا رعاة الحملان التي
كانت تُقدم ذبائح علي المذبح في العهد القديم .

فقد كان الكهنة يجتاروا مكان خارج أورشليم لكي
يرعوا بها الأغنام التي يُقدم منها ذبائح للرب ، كما كانوا يجتاروا
عدد من اللاويين لهذه الخدمة و رعاية الخراف .

وخدمة هؤلاء الرعاة لم تقتصر علي رعاية الخراف فقط بل كان من
وظائفهم أن يقوموا باختيار الحملان التي تُقدم ذبيحة علي أن تتوفر فيها
كل الشروط .

لقد كان الرعاة أول من سجد للطفل الإلهي وأول من احتفل بالميلاد
وأول من بُشر وبُشر بالميلاد .

مرغم إن الكتاب المقدس لم يذكر عدد الرعاة أو أسمائهم
، ولكن بعض المصادر تذكر أن الرعاة القديسين كانوا ستة
وتذكر أسمائهم أيضاً " أشير - نربولون - نوسطوس - نيفاليوس -

يوسف - سربنا " . وبعض المصادر الأخرى تذكر أن عددهم
ثلاثة .

أما عن المكان الذي ظهر فيه الملاك للرعاة يُسمى الآن " دير الرعاة "
وبه كنيسة .

وهو يبعد عن بيت لحم مسافة (1 كم) . وبعض المصادر
الأخرى تقول انه كان من بينهم أصحاب البيت الذي استضاف
ميلاد المسيح .

البركات التي نالها هؤلاء الرعاة

السلام

لقد استحق الرعاية ليس فقط أن يظهر لهم الملائكة ويضئ عليهم نور مجد حضور الرب بل أن الملائكة طمأنتهم وأعطتهم السلام، عندما خاطبهم الملاك الذي ظهر لهم "لا تخافوا".

وعندما اشترك الرعاية مع جند السماء أنشودتهم الجميلة بنجدهم قائلين وهم يتهللون "وعلى الأرض سلام".

ما أجمل السلام الذي جاء للرعاة وسط ظلام الليل وحيث أنار لهم نور الرب، وذلك لكي يبشروا بنور الطفل الإلهي في المذود الذي يشع في ظلمة الليل، القائل عن نفسه "أنا نور العالم، من يتبعني لا يمشي في الظلام، بل يجد نور الحياة" (يو8/12). انه النور بشخصه وكلامه ومثله.

في ظلمة الألم والفقر والظلم واليأس والضياع والاستضعاف، اشرق
المسيح كلمة الله لينير لكل من هو في ظلمة .

لينا لا نخاف بل نقتني لنا الايمان انه في كل ظلمة ليل من حياتنا يظهر
الله ليخلصنا ويعطينا سلام .

لقد خاف الرعاة، وقد أدرك الملاك سبب خوفهم فأسرع وطمئنتهم
قائلًا لا تخافوا . . . لأنه ولد لكم اليوم من سيخلصكم من
كل أسباب الخوف العظيم، ذلك المولود الذي هو بالحقيقة ملك
السلام ومصدره .

بجانب الرعاة نجد الأحداث التي صاحبت ميلاد السيد المسيح مليئة
بالسلام فهي هوذا العذراء القديسة مريم يدخل إليها الملاك قائلًا "

سلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء (لو 1

: 28) .

كذلك عبارة "لا تخافي" . . التي قالها الملاك للعدراء مملوءة من

السلام والطمأنينة .

كذلك سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع نجده يقول "الآن تطلق

عبدك يا سيد حسب قولك بسلام (لو 2 : 29)

لقد ولد السيد المسيح لكي يزيل كل آثار الخوف الذي تغلغل في

أعماق النفس البشرية سواء نتيجة الخطية أو سطوة الشيطان أو فساد

الطبيعة .

فقد جاء السيد المسيح ليقدم صلحاً بين السماء والأرض وبين الله

والناس ، بعد أن كانت الخطيئة تقسم حاجزاً بين الإنسان والله . . .

لقد نالت الأَرْض بركة السلام لتزول مرَب السلام لحظة لمس جسد
المولود أَرْض الشقاء ليملاً أَرْضنا سلاماً لا يُتزع منا إلى الأبد .

من بركات ميلاد السيد المسيح أن حدث سلام بين الناس، و سلام بين
الإنسان والله، و سلام في أعماق النفس من الداخل .

لقد فُقد السلام علي الأَرْض بسبب الخطية وقد جاء السيد المسيح
ليعيد السلام المفقود علي الأَرْض . . لقد تغيرت ملامح الإنسان بسبب
الخطية و فقد صورته الإلهية التي خُلق عليها فجاء السيد المسيح ليعيد
له صورته الأصلية .

السيد المسيح لا يقدم السلام كما يقدمه العالم، تحية كلامية
شكلية، بل بركة حقيقية تتمثل في تقديم ذاته لمؤمنيه .

هذا السلام لا يمكن للعالم بكل إمكانياته أن يقدمه ولا بكل
أحزانه أن يسحبه من المؤمن . لأن ما يعطيه العالم يمس الجسد ويُحد
بالزمن والمكان، أما سلام المسيح فيحتضن كيان الإنسان كله،
ولا يقدر زمن ما أو مكان ما أن يحده . إنه يسحب أعماق الإنسان
لتختبر الأبدية .

سلام المسيح أبدي، ليس من قوة تقدر أن تنزعه عن الإنسان المتمسك
به . سلام العالم قد يدفع الإنسان إلى الخطية، سواء من جهة الملذات أو
الكبرياء، أما سلام المسيح فهو عمل النعمة الغنية التي تحفظ الإنسان
في القداسة والبر .

لقد تجسد السيد المسيح وشابهنا في كل شيء لكي ينزع عنا
الخوف، تجسد لكي ينزع خوف الإنسان من الله فقد أوضح لنا محبة
الله للإنسان في عمقها، كما أعطانا فرصة لكي نظهر محبتنا له .

فالمحبة تطرح الخوف إلى خارج . لذا نجد القديس العظيم أبنا أنطونيوس
أب جميع الرهبان ، نجده يجرؤ علي قوله " إنني لا أخاف الله . . لأنني
أحب الله "

لقد تجسد المسيح له المجد لكي ينزع منا الخوف من الغد فأوصانا أن لا
نهتم به .

كما اتزع منا الخوف من الشيطان عندما اتصبر بنا فيه .

واتزع من داخلنا الخوف من الحيوانات عندما أرجعنا إلى طبيعتنا الأولى
بتجسده وعندما أعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل
قوة العدو ،

بتجسد السيد المسيح اتزع منا الخوف من المرض بانتصاره عليه
وشفاؤه لكل مرض وكل ضعف في الشعب .

واتترع السيد المسيح بميلاده الخوف من أخوتنا في الإنسانية حيث أمرنا
بمحبتهم ، حتى الأعداء طلب منا أن نصلي لأجلهم وأن
نباركهم بل ونحسن إليهم .

كما اتترع منا الخوف من الطبيعة الثائرة عندما أمرانا سلطانة علي
تهدئة الأمواج ومرياح البحار

الفرح

"فها أنا أبشركم بفرح عظيم" (لوقا 2: 10)

لا يوجد فرح يفوق فرح ميلاد المسيح ، في هذا اليوم تم الصلح بين الله
والإنسان ، وبين السمايين والأرضيين ، وليس أدل على ذلك من ميلاد
الله على أرضنا وأخذه لطبيعتنا وشكلنا . كذلك ليس أدل على
ذلك من ظهور الملائكة للبشر وتبشيرهم إياهم بالفرح والخلاص

،فها الرعاية يظهر لهم الملاك مبشراً ،والملائكة مسبحين .والعذراء
القديسة ونركريا الكاهن وكذلك يوسف الصديق الملائكة
تظهر لهم وتبشرهم وتعزيهم وتعطيهم سلام .

لقد صار اتحاد وشركة بين من في السماء ومن على الأرض
فصارت مصالحة بين الله والإنسان .

بميلاد السيد المسيح انفتحت السماء على الأرض
وأصبحت الملائكة أرواحاً خادماًه
وصارت السموات مفتوحة أمام استقائوس
وصارت مفتوحة أيضاً لكل إنسان يصلي
بل لقد صارت السماء فينا وصرنا في السماء

لقد بشر الملاك الرعاة بالفرح لأنه في يوم ميلاد السيد المسيح قد
صارت نهاية الظلمة وبدأت حياة للإنسان .

، انفتح الطريق للإنسان نحو الله وطريق الله انفتح نحو النفس البشرية .

ميلاد السيد المسيح كان سبباً لفرح كل قديسي الميلاد فها الرعاة
مبشرين بالفرح، والعذراء القديسة تقول بالروح القدس " وتبتهج
مروحي بالله مخلصي (لو 1 : 47) .

والمجوس مكتوب عنهم " لما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً
جداً (مت 2 : 10) ، ونركبوا وإليصابات فرحوا بميلاد يوحنا
المعمدان السابق للمسيح .

والملائكة يشامرون البشر فرحتهم وينشدون في انشودتهم
الجميلة " وفي الناس المسرة "

حقاً في يوم ميلاد السيد المسيح تم ترثيل داود النبي "عظم الرب العمل
معنا وصرنا فرحين (منر 126 : 3) .

وأيضاً ترثيله " هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتيج ونفرح فيه (منر
118 : 24) .

الفرح بظهور الله وتجسده امرتباطاً وثيقاً ببدء عهد جديد .
تظهر فيه مبادئ جديدة وقيم سامية عالية يقدمها السيد المسيح
للعالم . . . وظهرت في عظته الشهيرة علي الجبل . وفي سائر عظاته
وتعاليمه . وفي ما أودعه في قلوب تلاميذه من تعليم .

فرح البشرية بالسيد المسيح المولود الذي شابههم في كل شيء ما
خلا الخطيئة وحدها ، فأصبح لهم قدوة ومثلاً للاتصام على الخطيئة
والموت والشيطان .

من أهداف ميلاد السيد المسيح وتجسده أن يكون معنا ويسكن فينا
،فهو سر فرحنا .

ليس هناك فرح يفوق فرح فتح باب الفردوس أمام الإنسان ،ذاك الذي
كان مغلقاً وقد كان ميلاد السيد المسيح وتجسده مقدمة لفتحه
على الصليب .

إن مشاعر الفرح مرتبطة بالرب وبالعبادة والعلاقة به . إن الملكوت
والأبدية والشركة مع الرب يسوع المسيح هي الحياة بلا حزن ولا
وجع ولا صراخ . لذلك يجب أن ندمرب أنفسنا هنا حتى يكمل
فرحنا في الأبدية .

ونحن يمكننا أن نشترك الرعاية في ليلة الميلاد هذه ،وذلك بأن نسمح
للمسيح أن يولد فينا أو نولد معه من جديد لكي ما نُولد من الداخل

بسلام داخلي، لأنه كما بُشر الرعاة بُشر نحن دائماً من قبل السيد
المسيح نفسه من خلال كتابه المقدس "جاء وبشرنا بالسلام نحن
الذين كنا بعيدين" (أفسس 2: 17-18).

ما أحلى أن يسد السلام والصلح والمحبة والاتفاق بين الجميع كما
كان بين الرعاة بعضهم مع بعض لكي نصير جسداً واحداً
ومروحاً واحداً. فكم كان اتفاق هؤلاء الرعاة ووحدتهم
مرائعاً.

الخلاص

الملاك ينجبر الرعاة في يوم ميلاد السيد المسيح "أنه ولد لكم اليوم
في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" (لوقا 2: 11).

كذلك نركب الكاهن قبل ذلك يقول بالروح " مبارك الرب اله
إسرائيل لأنه اقتقد و صنع فداء لشعبه . . . وأقام لنا قرن خلاص في
بيت داود فتاه خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا " (لو
1 : 68)

السيدة العذراء في تسبحتها الجميلة نجدها تقول " وتبتهج مروحي بالله
مخلصي (لو 1 : 47)

سمعان الشيخ تهلل قائلاً " الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك
بسلام . لان عيني قد أبصرتا خلاصك " (لو 2 : 29) .

المخلص من الخطية

لقد قال الملك للرعاة لقد ولد لكم مخلص ، من حق البشرية أن تفرح
فقد ولد السيد المسيح مخلصهم من الخطية كقول الملك للعذراء

القديسة ونبوته عن السيد المسيح " فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه
يخلص شعبه من خطاياهم (مت 1 : 21) .

ميلاد الرب يسوع، ميلاد اقتداء الإنسان من عبودية الخطيئة والعالم . قال
بولس الرسول: " . . . فلما بلغ الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة،
مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني . . .
فلست بعدُ عبداً بل أنت ابنٌ، وإذا كنت ابناً فأنت وارثٌ بالله ."
(غلاطية 4: 4 و 7) .

السيد المسيح هو المخلص من كل خطية ومن كل ضيقة ومن كل
ألم وحرز .

ليتنا نكون نحن شعبه فلنعرفه بثبات كما تقول التسبحة فيخلصنا
بقوة ويغفر لنا خطايانا .

سبب تجسد السيد المسيح هو أنه أراد أن يخلصنا من عقوبة الموت

الأبدي الذي كان ينتظر الإنسان لولا تجسد السيد المسيح .

وكما خالصنا من عقوبة الخطية ، خالصنا من فساد الطبيعة البشرية .

خلصنا من الفساد . هذا هو الأهم .

السيد المسيح ليس قادراً فقط أن يخلصنا من عقوبة الخطية بل أيضاً من

سيطرة الخطية . . . فعلينا في العيد أن نطلب من المولود في المذود أن

يخلصنا من خطايانا لأنه لا يمكن لنا الفرح بدون الخلاص من خطايانا .

الخلاص من الشيطان

تجسد السيد المسيح لكي يتقض أعمال إبليس ويخلصنا من سطوته "

لأجل هذا أظهر ابن الله لكي يتقض أعمال إبليس " (1يو 3 : 8) .

جاء السيد المسيح لكي ينقض أعمال إبليس كقاتل ومهلك الحياة ،
فيرد للإنسان الحياة ، بنوره ينقض ظلامه ، ويرد للإنسان للمحبة لله
وللغير .

لقد انتصر السيد المسيح على الشيطان لحسابنا لكي يخلصنا من
سقوطه فنراه وقد انتصر عليه على الجبل في تجاربه واستطاع وحده
نيابة عن كل البشر " من منكم بيكتني علي خطية ؟ ! " (يو 8
: 46) ، " رئيس هذا العالم يأتي ، وليس له في شئ " (يو 14 : 30)

لذلك نراه يقول لتلاميذه بعد موهبة إخراج الشياطين أثناء كرازتهم
" رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء " (لو 10 : 18) .

وفي هذه الطبيعة التي بامرورها السيد المسيح ، هزم الشيطان
بطريقتين : هزمه بالضربة القاضية علي الصليب . وغلبه كذلك

بالنقط ، بنجاح علي طول الخط ، خلال كل فترة تجسده علي الأرض
 . ولم يعطه مطلقاً أية فرصة . وأراه أن الطبيعة البشرية التي باركها
 ، يمكن أن تنصر عليه .

السيد المسيح الذي سعى لخلاصنا بميلاده وتجسده ، والذي لم يبخل علينا
 بآلامه ودمه ، والذي يريد أن الجميع يخلصون ، وقادر أن يخلص إلى
 التمام الذين يتقدمون إليه .

لينا في هذه الليلة المباركة تتقدم إليه طالبين منه الخلاص ، فقد قادر
 ويريد ذلك ، فهو الذي قال عنه الملاك لكريا عندما بشره بيوحنا "
 لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله (لو 1 : 37) . وهو المكتوب
 عنه " غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله (لو 18 : 27)

الخلاص من الموت

الرب في حنوه على البشرية إذ رأى كيف خضعت صنعة يديه
لسلطان الموت، ولم يحول نظره عنها نهائياً، وإنما كان يفتقدها في
كل جيل. فأعلن عن نفسه بين الآباء الأولين .

فالإنسان بخطيئته عرض نفسه للموت الأبدي بناء عن الحكم
الصادر من المنزه عن الكذب " وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا
تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت (تك 2 : 17) .

أن السبب الأول لعملية التجسد هو القضاء على الموت وإعادة الإنسان
للحياة الحقيقية . تلك الحياة التي فقدها الإنسان نتيجة المخالفة وتعدي
الوصية الإلهية والبعث بالتالي عن الله وفقد النعمة الإلهية .

ولكن كان ميلاد السيد المسيح وموته وقيامته كانت سبباً في
فرح الجنس البشري لأنه بموته رفع عنهم حكم الموت . فموت

المسيح بالرغم من أنه ظهر وكأنه هزيمة، ففي الحقيقة هو انتصار
على الموت والشيطان الذي كان هو سبب الموت .

فرح الجنس البشري بميلاد المسيح وخلاصه كفرح إنسان كان
محكوماً عليه بالإعدام وقد جاء من يحمل عنه هذا الحكم
ويخلصه منه .

كما تنبأ النبي المطوب إشعياء: ”يبلغ الموت إلى الأبد ويمسح السيد
الرب الدموع عن كل الوجوه“ (إش 25: 8) .

السيد المسيح أعلن انتصاره على الموت بداية عندما أقام بعض الأموات
مثل ابن الأرملة وابنة يائرس وإليانزر وكانت هذه مقدمة لعمل
أعظم يحطم كل دولة الشيطان وهو: قيامة السيد المسيح ، التي لا

موت بعدها . . . هذه القيامة كانت ترعب الشيطان لأنها تهدم كل عمله الذي تعب فيه من قبل .

كذلك كانت نتيجة لتجسد السيد المسيح وخلاصه بأن وعدنا أن نقوم من الأموات . وحقاً سنقوم في شبه مجد قيامته بجسد روحي لا يموت . وبهذا الجسد نرث الحياة الأبدية . . .

الصلاة والتسبيح

" وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين "المجد لله في الأعالي وعلي الأرض السلام وبالناس المسرة" (لوقا 2: 13-14)

" ثم مرجع الرعاية وهم يمجدون الله ويسبحونه علي كل ما سمعوه وراؤهم كما قيل لهم " (لوقا 2: 20)

إن الرعاية كانوا يسبحون ويتأملون ويصلون، لذلك ظهر لهم
الملائكة. فمن يريد أن يحيا مع الملائكة حياة الصداقة والعشرة
الحقيقية، يجب أن تمتلئ حياته بالصلاة، والتسبيح، والتأمل في الأسفار
المقدسة.

أراد الرب أن يبين لأهل الأرض كم كانت فرحة السماء
بالتجسد الإلهي فانتقل فرح السماء نحو الأرض ومرتاه الأرض
جها را بتسبيح الملائكة وطغيان نورهم على نور نار الرعاية
الساهرين وامتلات الأرض من تسايح أهل السماء . واشترك البشر مع
السمائين في صلواتهم وتسايحهم . حقاً السيد المسيح يستحق منا
كل تسبيح .

لقد اجتذب حدث الميلاد جماهير السمايين نحو كوكب الأرض،
واستطاع الساهرون من الرعاة أن يسمعو تساييح السمايين وكان
الأرض قد تحوّلت إلى سماء .

ليس هناء عنزاء وفرح وبركة أعظم من مشاركة السمايين في
تسبيح الخالق للجميع .

ما أجمل لحظات الصلاة والتواصل مع الملائكة السمايين ومع ربهم بل
ربنا أجمعين .

ليس لأحد أن يتخيل مدي السعادة والفرح التي غمرت هؤلاء الرعاة
البسطاء عندما رأوا ملائكة السماء وسمعوا بل شاركوهم في
تساييحهم .

من يتقابل مع المسيح لا يمكن إلا أن يعود مسبحاً وفرحاً . مثلما حدث
مع الرعاية، ونحن كلما تقرب من المسيح في الصلاة والتسبيح كلما
يزداد فرحنا وسلامنا .

ونحن عندما نصلي في أي وقت، نتشارك مع السماء ومع السكان
فيها، بل نتشارك وتتكلم ونصلي مع خالق السماء نفسها .

لقد أحدث هذا التسبيح قوة فرح في الرعاية الساهرين على مواشيهم
لدرجة أن تركوها في حماية رب السماء وأسرعوا للمشاهدة الفرح
الحقيقي في المغارة .

حياة الصلاة والتسبيح تجعلنا نتقاد بروح الله في أعمالنا وتصرفاتنا مثل
أولئك الرعاية الذين كانوا مرشدين من الروح القدس .

فعندما أوصاهم الملاك بالذهاب إلى بيت لحم أعطاهم علامة قائلاً
"وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود" (لو2:
12).

ولكن الرعاة ذهبوا في نفس ليلة ميلاده، فكيف عرفوا مكان
المحظرة؟! لقد عرفوا لأن الروح القدس كان يرشدهم.

لنسبح رب المجد يسوع علي الدوام علي خلقه لنا علي صورته ومثاله قبل
أن نشكره علي تجسده وأخذه شكلاً ومثالنا. لنسبحه علي
مرعايته لنا بعد أن نمجده علي صلبه وقيامته لأجلنا .

الكرامة والتبشير

"فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود
فلما رأوا أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي، وكل
الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة" (لو 2: 16: 18)

الرعاة الفقراء، الصامتون، البعيدون عن ضجيج المدينة، الساهرون
على ماشيتهم سمعوا الكلمة ورأوا نورها . فاسرعوا الى بيت
حم . لقد رأوا واخبروا وسبّحوا .

ما أجمل أن تقترن الكرازة والخدمة بحياة التسبيح والصلاة واللقاء
الدائم مع صاحب الخدمة ربنا يسوع المسيح، فتكون الخدمة
والكرازة عن اختبار وتذوق .

نعم لقد عرف الرعاة أن السيد المسيح هو بحق مراعي الرعاة الذي من
ملئه يأخذ جميع الرعاة كرازتهم وخدمتهم .

حول الكلمة الإلهي، يسوع المسيح الإله والإنسان، بحضور يوسف
ومريم. جماعة الرعاية ترى الطفل وتؤمن بالمخلص، تخبر بالكلمة
وتشهد لها بالأعمال، تسبح الله وتعود إلى حقل العمل بفرح ومرجاء.

لقد نال الرعاية بركة أن يكونوا أول من يبشروا بميلاد السيد من
البشر وبالفرح العظيم للبشرية كلها.

لقد طفئ محبة الرعاية للرب على حبهم لمرزقهم تركوا مرزقهم
بين يدي الرب السماوي ليذهبوا ويروه متجسدا طفلا صغيرا مضجعا
في المذود.

وبعد ما شاهدوا العجب والنور الإلهي المنبعث من المغارة وامتلات
قلوبهم بالنور الساطع من المذود تركوا أيضا مواشيهم وأسرعوا
بالبشرى لكل تلك الكورة المحيطة وكان الفرح لا يمكن
وصفه.

لقد طبق ونفذ هؤلاء الرعاة القديسين وصية السيد المسيح "خبر
بكم فعل بك الرب"

هذا يعلمنا أنه عندما نذوق كم هو الرب طيب أو إن منحنا الله بعض
المعرفة يجب علينا أن نتمنى أن نُشرك كل العالم في فرحنا وتعزيتنا
إن لم يكن بالإخبار فيكون بالقدوة "يرون أعمالكم الصالحة
.. " () ، وإن لم يكن بالقدوة وبالصلاة والمحبة وعمل الرحمة مع كل
الناس .

أعمالنا المحسنة أكبر خبر تقدمه للناس عن المسيح الذي في داخلنا
، ولنحذر من العكس لئلا بسبب أعمالنا يُجذف علي اسم الله .

لقد كانت كلماتهم قوية وفعالة حتى تعجب كل الذين سمعوا
مما قيل لهم من الرعاية، لأنهم كانوا يجربون الناس من خبرة حقيقة "
طوبى لمن عمل وعلم" . .

العظة قدوة، ويمكننا أن نعظ بقدوتنا ومثالنا بدون عظة، ولكننا لا
نستطيع أن نؤثر بعظتنا بدون قدوتنا ومثالنا .

لماذا اختار الله هؤلاء الرعاية

لقد كان الرعاية أول من سجد للطفل الإلهي وأول من احتفل بالميلاد
وأول من بشر وبشر بالميلاد .

ربما تتساءل لماذا اختار الله الرعاية دون غيرهم لكي يظهر لهم
ويعلن حضوره في وسطهم ويبشرهم بهذا الفرح العظيم ؟ !

"ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء، قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض: "لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الذي أعلمنا به الرب" (لوقا 15: 15)

نستنتج من عبارة "الذي أعلمنا به الرب" مدي بساطة وإيمان هؤلاء الرعاة القديسين. أنهم بإيمان كامل أيقنوا أن الله هو الذي أعطاهم هذه الرسالة وهذا هو صوت الله لهم.

والقديس يوحنا ذهبي الفم يمتدح بساطة الرعاة وإيمانهم قائلاً:

"ظهر الملاك ليوسف في حلم كما إلى إنسان يبدو غير مصدق. بينما ظهر للرعاة بطريقة منظورة بكونهم أناس بسطاء. لم يُرسل ملاك إلى أورشليم ولا طلب الكتبة والفرسيين، لأنهم فاسدون مملؤون حسداً. أما الرعاة فقد حفظوا تعاليم الآباء وموسى القديمة

بإخلاص قلب، فإن الحياة غير الملوثة هي إحدى الطرق المؤدية إلى

الحكمة"

إيمان بدون أعمال ميت، هذا ما طبقه الرعاة علي أنفسهم بأنهم لم
يكتفوا بالإيمان والمعرفة ولم يتركوا الأمر يمس بسهولة بل قاموا
وذهبوا ونظروا .

عندما نسمع صوت الله من خلال الكتاب المقدس أو من خلال
خدامه المباركين يجب علينا أن نتأمل فيه . ويكون لدينا إيمان
الرعاة القديسين وأن لا نشك فيه ولا نتردد إن كان موافقاً لنا ولرأي
الكنيسة وسوف يساعدنا علي خلاص أنفسنا .

2 - السهر والتعب.

لأنهم كانوا يحرسون حراسات الليل ساهرين علي مرعيتهم .

إن هذه القلوب الساهرة المنتظرة المترقبة عمل الله؛ هي التي سيرسل الله إليها ملائكته . فالله لم يرسل ملائكته إلى الأشخاص المترفين أو المتنعمين . بل أرسل إلى أناس يجلسون في العراء، وهم ساهرين على رعاية أغنامهم . وهذه هي أهمية السهر في الحياة الروحية، وأهمية السهر في الصلاة، وأهمية السهر في الكنيسة والتسبيح .

السيد المسيح يوصينا جميعاً بالسهر واليقظة الروحية، وذلك عندما قال "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة . . ." (مت 26: 41)،

ويوصينا أيضاً قائلاً "فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان" (مت 13: 25) .

علمنا السيد المسيح حياة السهر واليقظة ذلك المكتوب عنه أنه كان يقضي الليل كله في الصلاة لله رغم أنه كلمة الله المتجسد، ولا

يحتاج إلى الصلاة مثلنا، ولكنه صلي وسهر لكي يعلمنا وجوب

الصلاة مع السهر.

السهر الروحي هو الحرص الدائم في كل لحظة من لحظات حياتنا

.

لقد كان هؤلاء الرعاة القديسين مرعاة بقلب مملوء بالمحبة والعطف

علي مرعيتهم، وأيضاً يمتازون باليقظة الروحية يحرسون حراسات

الليل.

الرعاة القديسين نتيجة محبتهم الكاملة وأمانتهم ونتيجة سهرهم

علي مرعيتهم استحقوا رؤية الملائكة، ليس الملائكة فقط بل

استحقوا أن يروا مجد الرب.

ذهب الرعاة سرباً ليُشاهدوا الحمل والراعي الحقيقي مخلص العالم . .
وأظهر الرب بذلك أن حياة السهر والتسبيح هي التي تمنح المنتظرين نعمة
التعرف على مقاصد الله وأعماله العجيبة .

الإنسان الساهر علي خلاص نفسه وخلاص الآخرين هو من يستحق
أن يعاين مجد الله، فهؤلاء الرعاة لأنهم كانوا يقظين وساهرين علي
خلاص أنفسهم وخلاص الآخرين حسب الطقس اليهودي لذا
استحقوا أن يعاينوا مجد الله .

نحن جميعاً في حاجة إلي أمانة وسهر وحرص هؤلاء الرعاة القديسين
لكي يأتنا الله ليس فقط لكي نعاين مجده علي الأرض بل نكون
علي شبه جسد مجده في السماء .

3 - الجهاد والنشاط .

"فجاءوا مسرعين"

لقد جاء الرعاية مسرعين ، قال الكتاب أنهم أسرعوا ولم يتقدموا
بطء . أسرع الرعاية في البحث عن يسوع بلا تراخ ليس هناك أجمل من
النشاط والهمة في الحياة الروحية والعملية أيضاً ، هكذا قال النبي "
ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة"

دروس مستفادة من قصة الرعاية

السيد المسيح للجميع

عندما تتأمل في شخصيات الميلاد أمثال الرعاية نجد أن أولئك الأبرار
متنوعين من جهة الحياة الزوجية ، كان نركريا وأليصابات
نزوجين . وكان يوسف ومريم مخطوبين .

وكانت حنة ابنه فنوئيل أرملة . ولا شك أن سمعان الشيخ كان

أرملاً .

والعذراء كانت بتولاً . ويوحنا بن زكريا صام بتولاً أيضاً .

وفي صورة واحدة . اجتمع المتزوجون والمتزملون والمخطوبون

والبتوليون . كلهم لهم نصيب في الرب . وكلهم لهم نصيب

في حياة البر .

كذلك كان من بينهم الرجل والمرأة والطفل والكل فرحوا

بميلاد المسيح . كما فرح الرعاة بذلك . وكما فرح الجوس .

الله يحب كل العالم ولا يفرق بين أحد وأحد ، فكلنا أبناء له ، ولا

ينظر إلى الوجوه أو المركز أو الملابس .

ولكنه ينظر القلب ومدى أمانة الإنسان داخل قلبه وحرصه وسهره

، والله لن ينسى تعب أي إنسان فهو الذي سجانري كل واحد كما

يكون عمله .

المتزوج كالبتول، الشيوخ كالشباب، المرأة كالرجل، الله ينظر
إلى مدى أمانة الشخص في الوزنة التي أعطيت له، والرسالة التي كلفه
بها، وعلى قدر أمانته وصدقه سوف يكافئه .

اجتماع الأغنياء والفقراء واليهود والأمم حول السيد المسيح، يعني
عمومية رسالة السيد المسيح لجميع البشر فهكذا هو مكتوب "
لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك
كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو 3 : 16)

الله له في كل عصر من يشهد له

علي الرغم من ظلمة العصر. أحيط الميلاد المجيد بمجموعة من
القدسين. أمثال العذراء القديس ويوسف البامر وكربا الكاهن
ويوحنا المعمدان والرعاة البسطاء .

وجود أولئك القديسين في ذلك العصر المظلم يعطي رجاء بأن مروح
الله يعمل حتى في العصر الخاطئ المبتعد عنه .

الله في كل عصر له شهوداً وقديسين من بينهم رعاة الميلاد، الذين
كانوا بعيدين كل البعد عن كبرياء ومرياء اليهود، بل قد كانوا
يمتازون بالأمانة الشديدة التي يصفها لنا الوحي الإلهي في الإصحاح
الثاني من الإنجيل بحسب ما كتب معلمنا القديس متى الإنجيلي

كما قلنا سابقاً " وكان في تلك الكورة مرعاة متبدلين يحرسون
حراسات الليل علي مرعيتهم "

ولنتذكر معاً نوح البار الذي شهد لله وحده أيام الطوفان الذي جاء
على الأرض . ويوسف الذي كان شاهداً لله في أرض مصر
مرغم كونه وحيداً وعبداً ومظلوماً ، وأيوب البار الذي شهد للرب
مرغم التجربة الصعبة التي مر بها .

ليتنا نكون ضمن الذين يشهدون للرب مرغم وجود التجارب
والضيقات التي تحوط بنا ، نكون شهود للرب وسط المرض ، ولا
تتججج بأمراض جيلنا ، والرب عندما يري أمانتنا كالرعاة سيعطينا
أن نراه ليس بالإيمان فقط في الجسد بل تتمتع به في ملكوته ، ذلك
الذي لم تراه عين ولا يخطر على قلب إنسان .

كما إنه قادر أن يعوضنا عن أماتنا كما عوض يوسف بأن جعله
الرجل الثاني على عرش مصر، وكما عوض أيوب أضعاف مضاعفة
، وكما عوض الرعاة عن أماتهم وسهرهم ونشاطهم برؤيته
المباركة ونوال بركة العذراء القديسة والقديس يوسف النجار .
إن الفساد السائد في ذلك الزمن لم يكن عقبة تمنع وجود أولئك
الآبرار فيه .

الله يعمل من خلال الجميع

لم تذهب الملائكة إلى أي ملك أو إلى أي من العظماء أو إلى العشارين
والأغنياء لتبشرهم بأمر ، بل ظهر والرعاة فقراء مساكين
يرتعشون من برد ليل الشتاء وهم يحرسون أغنامهم ، وبشروهم
بالميلاد العظيم لأن المسيح جاء من اجل هؤلاء البسطاء والواثرين

للسماء ليبشرهم بالخلاص والملوكوت وأن الفرحة ستكون لهم
لأن هؤلاء الفقراء والرعاة عندما يأخذون بالجان . . فبالجان يعطون .
الله قادر ويريد أن يعمل بالجميع لا فرق عنده، فقد اختار الرعاة
كما الصيادين للتبشير والكرامة . فالقداسة ليست حكراً
على أحد ، فكم من أناس بسطاء يسبقون الكثيرين في إيمانهم
ومحبة المسيح .

الله الذي عمل من خلال الرعاة البسطاء والتلاميذ صائدي الأسماك يريد
أن يعلم الحكماء أنه "إن لم يكن الربُّ البيت فباطلا تعب البناءون . إن لم
يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس" (منز 127: 1)

خاتمة

لقد حمل الرعاة البشري السامرة، تلك البشري بالفرح والسلام . إنها
فرحة الخلاص الآتي من عند الرب . ولكن المهم أن تفتح آذاننا
وعقولنا والقلوب، مثل الرعاة فنذهب معهم إلى ملاقاته الرب، ومثل
الملوك الجوس، فنرى معهم نجمة فنأتي ونسجد له وتقدم ذهب قلوبنا
وبخور صلواتنا ومرجهادنا .

ليتنا في عيد هذا الميلاد نشارك الرعاة ونغار معهم بأن نواصل
السمع والرؤية ونقل الخبر ورفع آيات التسبيح والصلاة من أجل كل
العالم .

ونحن إذ نتضرع إلى طفل المغامرة أن يهب لنا السلام وإلى عالمنا
وكنائسنا وبيوتنا وقلوبنا السلام الحقيقي حتى نستقبل الميلاد بفرح .

